نظرة إلى العلاقات اليهودية - العربية في الماضي والحاضر

كبيرة جداً للمجتمع العربي في اسرائيل. لقد تلقى اللقاء العربي اليهودي ضربة اضافية. وفي أعقاب الأحداث تطور اتجاه نحو الانفصال واقامة جمعيات منفصلة، والتي تقوم اليوم بأداء دور هام للغاية داخل المجتمع العربي ذاته. إنني كمن يعمل في هذا الموضوع في الجانب اليهودي أشعر في بعض الأحيان بالمس، وأحيانا بالاهانة، كأنما لا يوجد مكان للمزيد من التعاون.

دان بار أون: بإمكاني أن أسجل ما وقع لي في اكتوبر ٢٠٠٠. الى ذلك الوقت، كنا أناساً لا نريد أن نرى ونسمع لقد وطّنا أنفسنا بطريقة ما مع الجانب الايجابي من أوسلو وآمنا أن الأمر سيمر بطريقة وأخرى. أنا أقر أن هذا كان بالنسبة لي خلاصة هامة، كيف يمكننا الاصغاء الى الأشياء وكم من الصعب عليك تذويت الأشياء التي تسمعها عندما تكون غارقاً في مفاهيم ليست ذات صلة.

رباح حلبي: حسب رأيي، فإن التطورات التي وقعت في المجتمع الفلسطيني هي التي أدت الى حدوث التحركات التي وقعت في اكتوبر ٢٠٠٠، وليس أي عملية تربوية قمنا بها أو لم نقم بها. إن القوى الخاصة بنا، فيما يتعلق بالمفاهيم التربوية، ضعيفة للغاية أمام التغييرات السياسية. منذ العام ١٩٤٨ ألاحظ خطاً متواصلاً من تقوق المجتمع الفلسطيني، ولم يكن من المقدور منع الانفجار عام ٢٠٠٠ إن اللقاءات تعلمني أن هذا الانفجار كان صغيراً وأن الانفجار الكبير آت. النصيب الأكبر من المجتمع اليهودي رفض الأحداث واستشاط غضباً وشعر بالخديعة.

دان بار أون: أنت تصور المجتمع اليهودي كأنه مصنوع من مادة واحدة. لكن يوجد في هذا المجتمع العديد من الصراعات الداخلية. أعتقد أن الانتفاضة القادمة ستكون يهودية داخلية.

رباح حلبي: أنا لا أؤمن بكل هذا الموضوع المسمى وزارة المعارف، ومن يقف على رأس وزارة المعارف. إن أكثر الفترات ظلاماً كانت أيام حكم "مباي". ليمور ليفنات وسريد سيان على وجه التقريب. لا يوجد أي معنى لمن يقود وزارة المعارف. يوجد في الرأي العام اليهودي اجماع، توجد هوية يهودية، وهنا تدخل رواية مشتركة، رغم التباين.

د. رباح حلبي:
داني يعرض هنا رواية ليبرالية، ويتوقع من وزارة المعارف أن تكون أكثر تنوراً. أعتقد أن الرواية الليبرالية هي الأخطر لأنها تغطي على انعدام التنور في المجتمع اليهودي

روبيك روزنتال: إن توجهك يبدو متشائماً للغاية. ما هي الطريق التي تقترحها؟

رباح حلبي: أنا آخذ نظريات من مصادر أخرى، مثل السود والبيض في الولايات المتحدة الأمريكية. إن الطريق هي بناء هوية من خلال اللقاء المركز والذي يتم من خلاله معاينة الأشياء بطريقة أكثر تطرفاً وأكثر قرباً.

روبيك روزنتال: ألا ترى أن بناء الهوية فقط يؤدي الى طريق مسدود، الى الحرب الشاملة؟

رباح حلبي: يقف المجتمع الفلسطيني اليوم في حالة ما بعد اكتوبر ٢٠٠٠. نحن هنا لا نريد أن نتحدث معكم انتم اليهود مطلقاً، لقد سئمنا منكم. في المرحلة القادمة سنتحدث معكم من خلال إدراكنا لمحدوديتكم ومحدوديتنا.

روبيك روزنتال: أين اذن تتم التربية للسلام؟ على أي شيئ يجب أن يكون التركيز، على اللقاءات الخارجية أم داخل الأطر التربوية الواسعة، المدارس؟

داني برتل: إن الصورة فردية للغاية في جهاز التربية والتعليم. هناك معلمون ومدراء يعملون هذا من باب الايمان. لا توجد طريقة أو تصور عام. أنا لا أتفق مع ما يقوله رباح. في سنوات الثمانينات رأيت أن الأجواء على الصعيد العلوي تؤثر على ما يحدث. وفي فترة ناڤون تم اعداد كتب دراسية هامة حول الموضوع. اليوم، حتى لو كنت تبادر من الأسفل، لا توجد لديك طريقة للدخول الى وزارة المعارف إلا في حالات معدودة، مثل بلدية هرتسليا التي تتعاون مع مؤسسة "أدام". لقد كنت على صلة مع رئيس السكرتارية التربوية، واتضح أنه لا يتم تخصيص أغورة واحدة لهذا الموضوع. إن هذا يتم فقط عندما يكون لمنظمة معينة صلة مع جهة ما، مال من جهة ما، وبهذا ينتهي الأمر.

سارة أوساتسكي-لزار : عندما عمل جناح التعايش والديموقراطية في وزارة المعارف، كان بإمكان المدرسة الحصول على الساعات الأسبوعية من أجل العمل على هذه المواضيع. في فترات معينة عملت في المدارس المئات من المجموعات.

دان بار أون: أنا لا أوافق على أن كل شيئ متعلق بالجهاز السياسي. أعتقد أن ما ينقصنا اليوم هو توجه تصوري وبحثي. أنا مستعد لعرض ثلاثة نماذج من الجهود التي أرتبط بها. أحدها هو التوجه القائم على الروايتين. على مدار السنوات الصعبة الأخيرة عملنا مع مجموعة معلمين فلسطينيين ومجموعة معلمين اسرائيليين وطورنا كراسة تعليمية جديدة، يتم من خلالها عرض روايتين حول كل تاريخ في الصراع، الرواية الفلسطينية والرواية الاسرائيلية. إن المحاولات التي بذلناها عبر هذه الكراسات تهدف الى تعريف كل طرف بأن هناك ثمة طريقة أخرى لشرح ما وقع تاريخياً عدا عن طريقه، وعدم نزع الشرعية عن الطريق الأخرى. الجهد الثاني مرتبط بالمجتمع اليهودي الاسرائيلي. في صميم الصراع الآن وفي المرحلة القادمة سيقف موضوع اللاجئين الفلسطينيين وانعدام الاعتراف الاسرائيلي اليهودي بحصته من المسؤولية عن هذا الموضوع. أعتقد أنه يتوجب علينا عمل العديد من المشاريع في هذا المجال مثل المنظمة التي تسمى "زوخروت". الشيئ الثالث، هو إجراء بحث جدي لفهم منبع العلاقات السلبية القائمة بين الشرقيين والعرب في البلاد. يجب أن يُشغلنا هذا الموضوع لأنه لا يمكن ببساطة تفسيره.

داني برتل: أنت تقوم بعمل رائع، لكن وزارة المعارف حددت أنه من غير الممكن استعمال كتابك؟

دان بار أون: يتوجب على وزارة المعارف التراجع، وهي التي يتوجب عليها أن تتغير، لأن الواقع يبقى أقوى منها.

رباح حلبي: إن وزارة المعارف عبارة عن أداة للسلطة. وهي لا تعمل على التغيير بل الحفاظ على المجتمع. كانت الوزارة تعمل ولغاية اليوم من أجل الحفاظ على الصراع اليهودي العربي، ومن أجل الإحتماء من "السكان الأصليين البدائيين". لا توجد لي توقعات في هذا الاطار من وزارة المعارف. إن هدفها هو تمجيد الصهيونية الوطنية كما هي. وإذا كان هناك من يقدر حقاً على فعل مثل هذه الأشياء، فهي المنظمات المدنية، التي تعمل خارج وزارة المعارف. إن مدرسة السلام في نفي شلوم لم تحصل مطلقاً على أغورة واحدة من وزارة المعارف.

سارة أوساتسكي-لزار: أعتقد أن إحدى حالات الفشل الكبرى للمنظمات تكمن في أننا نعمل ضمن تنافس خفي أمام المولين، ضمن عمل منفرد تماماً، وبدون تعاون. لا يمر أسبوع دون أن أسمع عن مبادرة جديدة. تعلموا من تجربة الآخرين. إنهم يتعاطون الآن مع ما نسيناه قبل ١٥ عاماً.

داني برتل: كانت هناك محاولات للجمع في لقاء، للتنظيم، غير أن هذه الأشياء لم تنجح. إن هذا الأمر مرتبط بالحاجة الى العمل ضد الجهاز، وعدم وجود قوة مركزية تعمل على التنظيم. الجميع يكافح من أجل الأموال ذاتها، ويتنافسون فيما بينهم. في سنوات الثمانينات ساد واقع آخر. كانت هناك قوة مركزية. أخذ معهد ڤان لير على نفسه هذا الدور، كان هناك تنظيم، تحت قيادة ألوف هار ايڤن، وقد حصل فعلا على الكثير من الأموال وكذلك على دعم من وزارة المعارف.

رباح حلبي: ڤان لير ووزارة المعارف، من ناحيتي، سيان. إن العمل الذي قام به لا يناسب مجموع الفلسطينيين في اسرائيل. لقد كان مقاولاً ثانوياً لوزارة المعارف وتصرف وفقاً لأوامرها. لا أقدر على التعاطف مع أي شيء تبادر اليه وزارة المعارف ولا أسانده. نحن نعمل بصورة شبه سرية خارج المؤسسة ونحاول بقواتنا الواهنة العثور على البدائل، العثور على سبل راديكالية، احداث هزة وزعزعة التصورات القائمة.

د. شفيق مصالحة:
من السهل أكثر تحويل الصراع الى موضوع مركزي، والزج بمخاوفنا الأخرى المتعلقة بالتعارف الشخصي الى الوراء. إن الصراع يولد ممانعة، ولكل واحد وسائله الدفاعية، والقليل من الحوار العميق والحقيقي

سارة أوساتسكي-لزار : لكن من هو جمهوركم؟

رباح حلبي: يصل تعداد جمهورنا الى بضع آلاف وهو جمهور صغير. إن الجمهور الحقيقي هو التفكير الذي نقوم بإبداعه. لدينا تصور، وقد ألفنا كتباً حول الموضوع، ونقوم باصدار مجلة اسمها بيتحون بي. إن التصور الذي أبدعناه في مدرسة السلام يعمل جيداً وقد أثبت نفسه. إن التصور الذي عرضه شفيق حول التماس الشخصي رفضه الفلسطينيون قبل عشرين عاماً.

داني برتل: الأمران الأساسيان اللذان سيؤديان الى إحداث التغيير في جهاز التربية والتعليم هما الانفتاح والنقد. إن جهاز التربية والتعليم في اسرائيل يسير في الاتجاه المعاكس، نحو االإنغلاق وانعدام النقد. إن جهاز التربية والتعليم يسير في الاتجاه المعاكس ولا ينافي التربية للسلام فقط، بل ينافي أيضاً الديموقراطية، التطور والعصرنة.

رباح حلبي: داني يعرض هنا رواية ليبرالية، ويتوقع من وزارة المعارف أن تكون أكثر تنوراً. أعتقد أن الرواية الليبرالية هي الأخطر لأنها تغطي على انعدام التنور في المجتمع اليهودي.

داني برتل: إن ما تفعله الآن هو دمغ الملصقات. هناك تصورات متباينة، تبدو مختلفة من زوايا متباينة، ويا ليت ألف وردة تزهر!

رباح حلبي: يمكن القيام بعمل أثري من أجل الكشف عن هذه التصورات، ومن أين أتت ومَن تخدُم.

روبيك روزنتال: إن الخلل الذي يكمن في تصورك، رباح، في كونك تتحدث عن الحوار، لكنك ترفض من خلال مواقفك أي امكانية للحوار.

بروفيسور دان بار أون:
بإمكاني أن أسجل ما وقع لي في اكتوبر ٢٠٠٠. الى ذلك الوقت، كنا أناساً لا نريد أن نرى ونسمع. لقد وطنا أنفسنا بطريقة ما مع الجانب الايجابي من أوسلو وآمنا أن الأمر سيمر بطريقة وأخرى

رباح حلبي: إن الحوار يبدأ هنا من ناحيتي. سوف أبذل من ناحيتي أقصى ما يمكن من أجل ايجاد الحوار. إنني أجري الحوار منذ عشرين عاماً، وقد كتبت عن المفاهيم التي تم تحصيلها من هذا الحوار.

داني برتل: من حقك وواجبك التعبير عن رأيك، غير أن ما تفعله لا يليق وغير مستحسن. أنا أقول أنني أحترم رأيك، وأنت تقول – لدي الحقيقة التي اؤمن بها، وما تقولونه هراء!

رباح حلبي: أعتقد أن الرواية الأخرى تتسم بالإشكالية، إنها تسيطر علي، وجزء من حالتي بسببها، إنني أحاول تبصيركم لأقول لكم انظروا، هناك حقيقة أخرى. إن الرواية الخاصة بالغالبية ليست شفافة، وتبدو في الظاهر غير موجودة، الأقليات فقط "تثير المشاكل"، لديهم روايات اعتقادية، سياسية وايديولوجية.

سارة أوساتسكي-لزار : نحن أول من ينتقد روايتنا ووزارة المعارف الخاصة بنا، والغالبية منا. نحن أول من ينتقد. إن المشكلة تكمن في الطريقة التي تشطب فيها تفسيرات الآخرين.

رباح حلبي: أعتقد أن الروايات الأخرى تأتي على حسابي، وهذا ما أحاول أن أقوله. أحاول أن أقول هذا صارخاً. هذا ليس سهلاً، لكن يجب قول هذا.

روبيك روزنتال: يبدو وفقا للنقاش أنه يتوجب على منظمات التربية للسلام الشروع في عملية سلمية فيما بينها. شكراً جزيلا لكم.

أين وحدة المظلومين والمسحوقين؟

المعطيات القاسية حول الفقر عامة والفقر الحاد في الوسط العربي بصورة خاصة، يولد لدى الجمهور العريض توقعاً لدمج القوى بين المنظمات المختلفة التي تعمل من أجل العدالة الإجتماعية وحقوق الإنسان في اسرائيل، غير أن الواقع مغاير تماماً

تامي مولاد حايو

أدت معطيات الفقر للعام ٢٠٠٣، التي نشرت قبل عدة أشهر الى إحداث صدمة في المجتمع. وطبقاً للمعطيات الواردة في التقرير، فإن كل ولد ثالث، وكل مواطن خامس يعيش تحت خط الفقر. ويدل الفحص العميق للمعطيات على أن الوضع في الوسط العربي أكثر صعوبة – إثنان من بين كل ثلاثة أولاد هما من الفقراء، وتعاني كل عائلة عربية ثانية من الفقر.

إن معاينة عالم المنظمات التي تُعنى بالتغيير الإجتماعي والمنظمات التي تُعنى بتقديم المعونات للسكان الذين يُعانون من الضائقة، تُخَلِّفُ صورة قاسية: إن الفقر يؤثر أيضاً على الهيئات الشعبية التي توفر الوجبات الساخنة والتبرعات المخصصة لمساعدة الفقراء. إن السكان يعانون من الفقر لدرجة أن الجمعيات التي تعمل وسط السكان لم تعد قادرة على الصمود أمام سيل التوجهات الآخذ في الزيادة، في حين تقل كمية التبرعات كلما ازداد الفقر. ونظراً لكون السكان العرب أكثر فقراً، فإن الأزمة التي تعاني منها المنظمات التي تعمل داخل الوسط العربي أكثر عمقاً.

١٩ بالمائة من سكان دولة اسرائيل هم من العرب، ونصفهم تقريباً من الأولاد. وطبقاً لمعطيات تقرير الفقر الأخير الصادر عن مؤسسة التأمين الوطني فإن اثنين من بين كل ثلاثة أولاد عرب يعيشون تحت خط الفقر. وفي مجال البطالة أيضاً فإن الوضع أكثر خطورة: العشرات من البلدات التي تتصدر جدول البطالة هي بلدات عربية، وفي الكثير منها تتجاوز نسبة البطالة حاجز ١٢ بالمائة.

إن المعطيات الصعبة بخصوص الفقر عامة، والفقر الخطير في وسط السكان العرب بشكل خاص، تثير لدى عامة الناس توقعاً بدمج القوى بين جميع المنظمات

رسم: لريسا كابلان

المختلفة التي تعمل من أجل العدالة الإجتماعية وحقوق الإنسان في اسرائيل. إن المنطق يقول انه في مثل هذه الحالة الخطيرة، ينبغي على المنظمات التي تمثِّل الشرائح السكانية الضعيفة التعاون مع المنظمات الأخرى من أجل تعظيم النضال والدعوة الى تصليح الأوضاع. غير أن الواقع مغاير جدًا.

إن مراجعة السنوات الأربع الأخيرة فيما يتعلق بالنضال من أجل العدالة الإجتماعية يولد صورة كئيبة. وبإستثناء بعض الحالات المنفردة، لا يوجد على وجه التقريب تعاون استراتيجي وواسع المدى بين المنظمات التي تعمل من أجل التغيير وتصليح الوضع الاقتصادي – الإجتماعي في اسرائيل. وتعمل كل منظمة من المنظمات المتنوعة في مجال التخصص الضيِّق الذي اختارته، وفي مجال وسط سكاني محدد. معظم المنظمات التي تُعنى بالتغيير الإجتماعي في اسرائيل لا تحدد لها المجموعة السكانية المستهدفة طبقاً لمعيار القومية أو الدين، حيث من الواضح أن مجرد عملها من أجل حقوق الإنسان والمواطن يعني أن هذه الحقوق تعود لكل مواطن ولا تقتصر على اليهود فقط. تحرص الغالبية العظمى من الجمعيات، في معرض وصف أهداف الجمعية، على الإشارة الى الحاجة للمساواة بين العرب واليهود ورغبة هذه الجمعيات في العمل وسط كافة السكان في اسرائيل. الى جانب ذلك، فإن معظم هذه المنظمات توفر الخدمات أساساً باللغة العبرية وتقع مقراتها في وسط السكان اليهود. وحتى لو رأت هذه الجمعيات نفسها على أنها رسول لكافة السكان، دونما فرق بالقومية أو المنشأ، غير أنها في الواقع تعمل أساساً في وسط سكاني غير تعددي بالأساس – وهو المجموعة السكانية اليهودية. ولا يوجد في الكثير من المنظمات التي تُعنى بالتغيير الإجتماعي أعضاء عرب ولا متطوعين عرب، ليس من حيث المبدأ وانما بسبب املاءات الواقع: الإستقطاب الجغرافي الحاد – هناك مناطق للعرب ومناطق لليهود، والقليل من البلدات التي تعيش فيها المجموعتان السكانيتان جنبا الى جنب.

يوجد فصل حاد أيضاً في أوساط المنظمات التي تقدم المساعدة ما بين المجموعتين السكانيتين: مع أن الكثير من المنظمات الكبيرة والمعروفة تقدم المساعدة والتي تتجلى في الرزم الغذائية أو المعدات الطبية لكل من يتوجه اليها، إلا أن هذه المنظمات تتواجد وسط السكان اليهود، بحيث ينصرف تقديم المساعدة عن السكان العرب. ويكمن السبب الاضافي في هذا العزل في كون هذه المنظمات جزءاً من جهاز المعونات التابع للهيئات الدينية، والتي تنظر الى السكان اليهود على أساس أنهم جمهور الهدف الأول، بينما يبقى باقي مواطني الدولة جمهوراً ثانويا، إذا ما صح ذلك أصلاً.

وفي مقابل ذلك، فان المنظمات التي تعرّف نفسها أنها عربية، تحدد جمهور الهدف الخاص بها بصورة واضحة طبقاً للإنتماء العرقي، القومي والديني حتى في معرض وصف أهداف الجمعية. وهم يرون في التأطير القومي العربي جزءاً من عملية بناء قوتهم عشية التغيير الإجتماعي الأكثر اتساعاً، وهم يعملون من أجل تصويب المظالم المؤسساتية التي تقع على كاهل المواطنين العرب. وهم أيضاً يدعون العمل بإسم العدالة الشاملة غير أنهم يعملون من أجل الجمهور طبقاً للمعايير العرقية والقومية الصارخة.

ويرى النشطاء في الوسط العربي أن معظم المنظمات العربية التي أُقيمت خلال السنوات الأخيرة تم انشاؤها بسبب قلة ذات اليد والتمييز في علاج المشاكل الخاصة بالوسط العربي من طرف المنظمات اليهودية. وعلى ضوء الواقع الموصوف أعلاه، من الصعب شطب هذا الإدعاء من الأساس.

وفي مقابل نشاط المنظمات، يقف الإعلام في اسرائيل، كأداة ذات تأثير كبير على الحوار العام وعلى أصحاب القرار. ومن الناحية العملية، فقد تحول الإعلام الى إحدى الأدوات الأكثر أهمية في تغيير الواقع، وخاصة فيما يتعلق بقدرة التأثير على أعضاء الكنيست الذين يملكون القدرة على تصحيح التمييز والعمل بواسطة القوانين على تحسين حالة الشرائح السكانية الضعيفة. إن الإعلام الإسرائيلي، وغالبيته عبري ويهودي، يُفضِّل أن يصوِّر ويعرض معاناة الفقراء اليهود. كأن البراد الفارغ لدى العائلة اليهودية يبيعُ أعداداً أكبر من الصحف من البراد الفارغ لدى العائلة العربية. وعلى النقيض من ذلك، فإن وسائل الإعلام العربية في اسرائيل تعرض أساساً صورة عن وضع السكان العرب، كأنما يهتز القارئ العربي من فقر العائلة العربية أكثر من فقر العائلة اليهودية، إن الحقيقة أكثر تعقيداً من ذلك.

إن الشرائح السكانية الضعيفة في اسرائيل لا تتكون فقط من اليهود والعرب بل تتكون، وربما بالأساس، من شرائح محددة وأجيال. إن حالة النساء في المجتمع الإسرائيلي سيئة للغاية: على رأس معظم العائلات احادية الوالد تقف امرأة لوحدها، وتقع نسبة كبيرة من هذه العائلات، وهي أكثر انتشاراً في المجتمع اليهودي، تحت خط الفقر. كما أن وضع المسنين سيئ للغاية. في الدولة التي لا يوجد فيها لمعظم العاملين الحد الأدنى من التوفير للتقاعد، فإن الكثير من المسنين يجدون أنفسهم تحت خط الفقر، وهنا أيضاً لا يوجد تمييز ما بين العربي واليهودي. وهناك من يقول ان انهيار جهاز الصحة يحول دون التفريق ما بين العربي واليهودي. ولكن هل هذه هي الصورة بأكملها فعلاً؟ يتضح أن حياة المسنين، العائلات الأحادية، المعاقين والمرضى صعبة، وأن حالتهم تكون أكثر سوءاً إذا كانوا عرباً.

وتدعي المنظمات العربية أنه ما دام لم يتم تقوية السكان العرب ورفع العنصرية والتمييز عنهم، فلن يكون بمقدورهم النضال من أجل المساواة الاقتصادية والاجتماعية. ومن الناحية الأخرى تدعي المنظمات اليهودية أنه ما دامت المنظمات العربية مستمرة في العمل على أساس أن الفقر يختلف طبقاً لقومية ودين الفقير فلا يمكن أن تتم المساواة الحقيقية التي تمنع العنصرية.

ويبدو أن استراتيجية النضال التي تتبناها المنظمات التي تمثِّل السكان العرب تهدف في الدرجة الأولى الى حل القضايا المتعلقة بالهوية القومية، وهو هدف يُبرر هذا التفاضل الذي اختارته. ولو كان تطوير السكان الضعفاء يقف نصب أعينهم لكانوا تعاونوا مع المنظمات اليهودية من أجل استغلال الحد الأقصى من قوة وتأثير وسائل الإعلام على صناع القرار، اضافة الى دفع قيمة المساواة الى الأمام.

وفي المقابل يتوجب على المنظمات اليهودية أن تستيقظ وتفتح أبوابها للمتطوعين والنشطاء العرب، وجمهور المحتاجين الى الخدمات من الوسط العربي، على أساس أن هناك من يطلب بلباقة وهناك من يستجيب بلباقة. وفي كل الأحوال، لا مكان لإعتبارات الرفعة والإعتبارات السياسية القومية في الإستمرار في التأثير على النضال من أجل العدالة ومساواة الحقوق في المجتمع الإسرائيلي. في بعض الأحيان تبدأ طريق المساواة، من خلال الفقراء والمظلومين بصورة خاصة.

الكاتبة هي أديبة وناشطة أجتماعية

أين المجتمع المدني في إسرائيل ؟

ماذا علينا أن نفعل من أجل إنبات الشعور بالمواطنة لدى مواطني الدولة، دون المس بهويتهم الجماعية؟

الدكتورة آنا إيزكوفا

يريد الكثيرون أن يكون لدينا مجتمع مدني، ويؤمن بعضنا أننا نعيش في مثل هذا المجتمع، وفي الواقع، فإن غالبية الناس لا يعرفون ما الذي يختفي من وراء هذا المصطلح وما المقصود منه. مع العلم بأنّ عدم المعرفة لا تشير الى أيّ جهل يقتصر على الجمهور في إسرائيل. وفي هذا الخصوص جاءت شهادة الفيلسوف توماس بريجس، الذي يتناول هذا الموضوع بالتحديد، حيث قال إن قسماً كبيراً من الجمهور الأمريكي أو الفرنسي أو الإنجليزي - وهو الجمهور الذي يقود العالم في المفاهيم الليبرالية ويرفع راية أهمية المجتمع المدني، هو في حالة مشابهة لما نحن فيه. ويقول بريجس إن المشكلة لا تكمن بالجمهور وإنما بالمصطلح الذي تعرض للكثير من التغييرات والتعديلات.

وتعود التوقعات إزاء مجتمع مدني يقوم الفرد فيه بمهام من أجل وحدة وتماسك المجتمع إلى المفاهيم الليبرالية العصرية من القرن الثامن عشر والتي غيّرت طريقة التفكير بخصوص مكانة الإنسان في المجتمع، ومع مرورالزمن، وعلى وجه الخصوص منذ بدء عصر العولمة، تعزّزت الأصوات المؤيّدة لليبرالية الجديدة، وعصر الحداثة التي ترتكز على فكرة التعددية الثقافية. فحسب هذا المفهوم، وبخلاف المفهوم القديم لليبرالية القديمة، ليس الإنسان مضطراً لفقدان هويته الجماعية من أجل حيازة الهوية المدنية.

يبدو أنّ المجتمع المدني الإسرائيلي لم يستوعب حتى الآن مبادئ مفهوم عصري الحداثة المتعدد الثقافات، والسؤال هو هل نحن نشكل المجتمع المدني حسب المصطلح الليبرالي القديم؟ إذا كنا نريد أن نعيش في مجتمع مدني حسب المفهوم العصري، فيجب أن تكون قيم المساواة والحرية الشخصية على رأس سلم اولوياتنا الاجتماعيّة، وقبل أي التزام جماعي (العائلة، الطائفة، المركز، الثقافة أو الدين) وعلاوة على ذلك، فإنّ مفهوم المواطنة حسب الليبرالية العصرية القديمة يجب أن تكون شاملة أي تضم أكثرية السكان. عندئذ فقط نستطيع التحدث عن نشوء المجتمع المدني. لا داعي لتعداد كلّ مظاهر عدم المساواة في المجتمع الإسرائيلي، كما ليست هناك حاجة لتعداد المجموعات التي تعتبر تعاطفها الجماعي أهمّ من تعاطفها المدني والمقصود هو معظم السكان الذين لا يشعرون بالحرية والمساواة بالمقارنة مع مجموعات أخرى. وهكذا بات من الواضح أنّ مبادئ المفهوم الليبرالي القديم غير قابلة للتطبيق في الواقع، الذي لا تؤيّد أكثرية المجتمع فيه المفهوم الليبرالي من الحرية والمساواة أو التمتع به.

وهنا يطرح السؤال: إذا كنّا نقترب على الأقل من ناحية مفهومنا السياسي من الشروط التي تتيح نشوء المجتمع المدني، ولو بصيغته القديمة، وحسب رأيي، نحن نبتعد تدريجيا عن هذه الشروط. وكلّ سنة نبتعد عن المساواة أكثر فأكثر، ونقترب من القوة أكثر فأكثر، ونفقد الشروط التي تتيح لنا حرية التعبير عن الرأي، ونصبح مجتمعا ركيكا من الناحية البلاغية المدنية. حيث تفقد المؤسسات العامّة طابعها المدني وترتدي طابعاً سياسياً أو فئوياً. ويصبح تمثيل السكان على مستوى اتخاذ القرار اسميا، وعلى الغالب فإنّه لا يمثّل الجمهور ككلّ وإنما مجموعات المصلحة فقط. وبالتالي فإن التربية للمواطنة الحرّة والمتكافئة تتضاءل أمّا مفاهيم مبدأ المتعة فتتغلب.

ما يبعث لدينا العزاء هو أن الأوضاع مشابهة أيضاً في الديمقراطيات الليبرالية القديمة والرائدة. وإذا كان يسودها مفهوم شعبي أكثر تنظيماً، ولا نشعر فيها بالفوضى سواء كان ذلك في المصطلحات أو الأعمال، غير أنّ كلّ هذا الموضوع حالياً في طَور "إعادة التفكير" يمكن للمواطن أن يحمل هُوية مزدوجة - مدنيّة وجماعيّة، بحيث لا تكون أيّ منهما شاملة؛ إنّ صلاحيات المجتمع المدني ومبادئَه تعيش إلى جانب صلاحيات الهوية الجماعية ومبادئها. وحسب كلّ الدلالات، فالحدود بينهما تمرّ في المجال الثقافي، لكننا لا نجد حتى الآن مَن يعرف بالضبط كيف سيحدث هذا.

وبالنسبة لنا فعلينا أن نعيد تعريف المجال المدني: ماذا وكيف يجب علينا أن نفعل لزيادة الأحساس المدني لغالبية مواطني الدولة دون المسّ بهويتهم الجماعية، وكيف يمكننا أن نخلق الإحساس بالحرية والمساواة في المجال الشعبي العامّ دون الدخول إلى المجال الشخصي من المعتقد الديني أو التفضيلات الثقافية.

يستحسن ألا ننتظر ترتيب الأمور في الديمقراطيات الغربية الكبيرة؛ عندما ينتهون من إعادة تنظيم المجتمع المدني في بلادهم، سنبقى متخلفين إلى الوراء، ولن نستطيع الدخول على قدم المساواة إلى المجتمع الغربي. وبالإضافة إلى ذلك، لن يستطيع أي شخص آخر تنفيذ هذه المهامّ بدلاً منا. فالعالم المتجانس بدأ يتفكك، وكلّ دولة تبحث عن المناسب لها، دون غيرها. وبالتالي علينا الاهتمام بنفسنا والتفكير بصورة فردانية. فهذا هو المطلوب في الوقت الراهن.

الكاتبة هي المحررة سابقا لملحق نهاية الأسبوع لصحيفة "نوڤوستي" باللغة الروسية

التوقُّع: رئيس دولة إسرائيل في سنة ٢٠٢٥ سيكون عربياً

هل العرب مذنبون لكون اليهود مذهولين من "الديموغرافيا"، أم أن هذا مجرد فزّاعة ومخاوف جوفاء يخترعها اليهود من أجل التمويه على نوايا خفية؟

بقلم يسرائيل هرئيل

بعد مرور عدة أشهر على اغتيال رئيس الوزراء الراحل اسحاق رابين، انطلقت مبادرة التحاور ما بين ممثلين عن اليمين وممثلين عن اليسار. وسرعان ما اتضح أنه في المواضيع المركزية، مثل موضوع مستقبل الاستيطان اليهودي في يهودا والسامرة، من المستحيل الوصول حتى الى بداية اتفاق. وكانت مجموعة التحاور قد أوشكت على التفكك، بعد أن ساد الشعور العام، خاصة على خلفية التوتر الذي ساد في الأيام التي تلت الإغتيال، بأنه يتوجب الاستمرار في الحوار. وعند ذاك ظهرت فجأة صيغة سهلة وعملية؛ بدلاً من التحدث عن خلافات الرأي الحالية، والتي لا يمكن تجاوزها، هيا بنا نحاول النظر الى الأمام؛ ماذا سيحدث لإسرائيل أو أي دولة ستكون اسرائيل في العام ٢٠٢٥، أي بعد ٢٩ عاماً؟

دخل صندوق فريدريك ايفرت الى الصورة وأتاح دعوة مرشدين مهنيين في مجال التوقعات. في البداية تلقى المشاركون محاضرات في العديد من المجالات: الاقتصاد (في تلك الفترة تقريباً بدأ استعمال المصطلح الذي يبعث على التفاؤل "العولمة"، والذي تحطم مع انهيار أبراج التوأم وغيرها من الأحداث)، تاريخ المنطقة، الشعوب والأديان في المنطقة، تاريخ الصراع اليهودي العربي، كيف تشأت الحدود وفي أعقاب ذلك "الشعوب" والدول في القرن العشرين، الى جانب ذلك، وهذا كان حاسماً كما اتضح لاحقاً، ما هو شكل الحالة الديموغرافية في دولة اسرائيل؟

لقد أصيبَ جميع المشاركين، من اليمين واليسار، اليهود والعرب، بالمفاجأة، وبعضهم أصيب بالذهول، عندما قام البروفيسور سرجيو دلا برجولا، وهو أخصائي في علم الديموغرافيا من الجامعة العبرية، بعرض أهم الاستنتاجات المتوفرة لديه: في العام ٢٠٢٥ سيكون أكثر من ثلث السكان من غير اليهود، وكلهم من العرب. وسوف يتناقص نصيب اليهود من السكان لاحقاً في أعقاب الزيادة الطبيعية المتدنية مقارنة بالزيادة الطبيعية للعرب، وسوف تتدنى نسبة اليهود الى حد تعريض الطابع اليهودي للدولة للخطر، كما أن فقدان الطابع اليهودي للدولة سيحدث خلال مدة ليست بالطويلة قبل أن يفقد اليهود الأغلبية.

أقلية ملحوظة، كما قيل في المداولات التي تطورت بعد تحليل المعطيات، ستطالب وبحق، بحقوقها الثقافية، الدينية والقومية أيضاً، وقد كانت هناك اشارات دالة على هذا في العام ١٩٩٦. وقد قال أحد الأعضاء العرب في المجموعة أن التغيير الديموغرافي سيؤدي بالضرورة الى الحكم الذاتي الذي "يتعدى الحكم الذاتي الثقافي"، وقد كانت الرمزية واضحة للغاية.

وبعد مضي عام ونصف العام على البحث والنقاشات جاءت مرحلة كتابة التوقعات. الديموغرافيا لم تكن طبعاً المركب الوحيد الذي اعتمدت عليه التوقعات في العام ٢٠٢٥. إذ جرى التعاطي أيضاً مع الخلافات التي تمزق المجتمع الاسرائيلي، وليس فقط بين اليهود والعرب (اللقاءات كما ذكرنا جرت في الفترة التي تلت اغتيال رابين) بل أيضاً التمزقات الاجنماعية التي تثير القلق والتوتر المشحون والأصلي ما بين الدين والدولة.

وبعد المحاولات التي جرت للوصول الى قاسم مشترك بين التوقعات المختلفة التي كتبها أعضاء النادي، اتفق المشاركون على وجود ثلاث توقعات محتملة، دون أن يتسم أي منها بالتفاؤل. أما التوقع الرابع، حتى لا يدعي أحد في المستقبل أن أُناساً متشائمين فقط شاركوا في المداولات، فقد كان توقعاً يتسم "بالتفاؤل"، ويقوم على أساس: الثورة الاقتصادية العالمية التي ستوفر الشفاء، على ما يبدو، لجميع الأمراض، ومن ضمنها الصراعات القومية، الاجتماعية والصراعات على الأقاليم في المنطقة، وبضمن ذلك أيضاً الأزمات الاسرائيلية الداخلية، بين اليهود وبين أنفسهم، وكذلك الأزمات بين اليهود والعرب (من المهم أن نضيف أن منطلق التوقعات قائم على أساس فض النزاع بين اسرائيل والفلسطينيين ، "بطريقة وأخرى" قبل ذلك. وبناء على ذلك، فقد كانت المداولات تدور حول ما سيحدث داخل دولة اسرائيل).

إن التوقع الأكثر تشاؤماً – والأكثر قبولا على المشاركين – يتحدث عن قيام الإسرائيليين والفلسطينيين في العام ٢٠٢٥، ومن خلال المظاهرات التي لا تتوقف واستعمال القوة السياسية التي ستكون بحوزتهم في ذلك الوقت، بالغاء قانون العودة، العلم والنشيد الوطني. ومن أجل تحقيق طموحاتهم القومية ستندلع مواجهات وأعمال شغب بين الشعبين، مما سيؤدي الى سفك الدماء (اقتضى الأمر حوالي عامين لكي يتحقق التوقع على أرض الواقع في اكتوبر تشرين الأول ٢٠٠٠ ، مع أنه كان بحجم يقل كثيراً عن الحجم الذي يدور حوله التوقع).

أما التوقع الثاني فإنه يتناول اسرائيل على أساس أنها قارب مجاذيف في وسط البحر، وكل ملاح فوق القارب يجذف بإتجاه مخالف: اليهود الحريديم، اليمين، اليسار والعرب. يلف القارب ويدور ولا يصل الى شاطئ الأمان. وفي مثل هذه الأحوال تتحول الدولة الى ما يشبه فيدرالية القبائل التي لا يجمعها قاسم مشترك، ومن شأن الدولة التي لا تقدر على بلورة قاسم مشترك أن تتفكك.

أما التوقع الثالث، والذي يتأثر أساساً بالديموغرافية، فإنه يؤكد أن الغالبية اليهودية الآخذة في التقلص، والمذعورة من امكانية الغاء العرب للطابع اليهودي للدولة، لن تقف مكتوفة الأيدي. ومن أجل الدفاع عن الطابع اليهودي للدولة، فقد يمس اليهود بالحقوق الخاصة بمساواة العرب. وطبقاً للتوقع، لن تبقى اسرائيل بعد ذلك دولة ديموقراطية بالمعنى المألوف للعالم الغربي، وستصير دولة منبوذة في المنطقة والعالم. وسوف يرحل عنها خيرة أبنائها وكل من يملك قدرة اقتصادية، لأنهم لا يقدرون على العيش في دولة تمارس التفرقة ضد المواطنين بسبب قوميتهم ودينهم.

وقد توصل الجميع الى الاستنتاج أن التوقعات الثلاث محتملة بالطبع إذا لم تتغير الظروف التي تم اجتزاء التوقعات طبقا لها، من اليمين واليسار، العرب واليهود. حتى اليهود اليساريين، بإستثناء واحد على ما يبدو، أبدوا قلقهم الشديد من التغيير الحاد المتوقع في طابع الدولة. أما العرب، في مقابل ذلك، فلم تكن لديهم أية أسباب للشعور بخيبة الأمل من التوقعات، ولم يخفوا بالطبع رضاًهم من تغيير طابع الدولة في المستقبل بواسطة الديموغرافيا وسيمنحهم هذا في البداية حكما ذاتيا ثقافياً، ومن بعد ذلك، وعندما يزيد نصيبهم في مجموع عدد السكان، سيطالبون بحكم ذاتي قومي، ومن بعد ذلك، لا نعرف ماذا سيكون، والله أعلم.

الغالبية العظمى من اليهود سكان اسرائيل لا يعون التوقعات، غير أنهم بالطبع يعون المعطيات، كتلك الصادرة عن دائرة الاحصاء المركزية، والتي تفيد أنه في الوقت الذي يزداد النصيب النسبي للعرب بصورة متواصلة، يقل النصيب النسبي لليهود بالتناسب. وهذا بالضبط ما يُطيِّر النوم من عيون الغالبية الساحقة من اليهود اليوم: بعد كل هذه المعاناة، الحروب والجهود المبذولة في اقامة الدولة اليهودية – الدولة الوحيدة في العالم – قد يفقد اليهود في دولة اليهود، بسبب التكاثر الطبيعي المتدني، الطابع اليهودي – الصهيوني لدولتهم في البداية، وعلى مر الأيام ربما يفقدون دولتهم أيضاً.

النتيجة العامة، إذا لم تقع هناك منعطفات غير متوقعة (وفي الديموغرافيا، عندما يدور الحديث عن مدى يصل الى ٣٠ – ٤٠ عاماً، فإن أنماط الولادة لا تتغير بصورة غير متوقعة)، فإنه سيكون للعرب – الفلسطينيين في ختام الأمر ثلاث دول (اضافة الى الـ ٢٢ دولة عربية أخرى): الأردن ستتحول في نهاية المطاف الى فلسطينية؛ يهودا والسامرة والتي ستقام فيها دولة فلسطينية بموافقة حكومة اسرائيل؛ وعلى المدى الأبعد – ربما بعد مرور ٧٠ سنة وربما ٩٠ سنة – دولة اضافية فوق المساحة التي توجد عليها اليوم دولة اليهود، ويكون معظم سكانها من الفلسطينيين.

الكاتب هو سابقاً محرر الصحيفة "نقطة" وكاتب ثابت في صحيفة "هآريتس"

مقطع ساخر ثنائي القومية

سجلوا أمامكم فكرة البرناج اليهودي - العربي الساخر

مئير عوزيئيل

قبل عدة سنوات، عندما كان بسام زعمط، نجم المسلسل التلفزيوني المحبوب "مطعم أبو رامي" لا يزال على قيد الحياة، دخل ذات يوم إلى مكتبي في هيئة تحرير صحيفة "معاريف" وأراد التعرف علي. فقلت له "أهلاً" وأضفت كلمة "وسهلاً" بصوت أعلى من المعتاد، وبابتسامة ألطف من المعتاد، كما يفعل اليهود خلال لقائهم مع العرب. دعوته للجلوس وبدأنا نتجاذب أطراف الحديث، وسرعان ما تحولت الأجواء إلى أقل رسمية وتصنعاً، وتبادلنا حديثاً منزوعاً من أي تباعد خفي.

قال لي بسام: "بما أنك ساخر"، هيا نقدم بصورة مشتركة برنامجاً ساخراً مشتركاً.

فشدتني الفكرة وما زالت تجتذبني إلى اليوم. برنامج يهودي عربي. عظيم. وصرت أفكر بالمشاهد المضحكة التي ستكتب لمثل هذا البرنامج.

إذا أنتجنا ذات يوم برنامجاً ساخراً يهودياً – عربياً، ولو لذكرى بسام زعمط، فيجب أن يقوم بكتابته كتّاب من اليهود والعرب، بحيث يكتب كل واحد من الجانبين نقداً ساخراً عن مواطن الضعف والمرض في مجتمعه. يكتب اليهود بصورة ساخرة لاذعة عن الإباحية الجنسية المبالغ فيها ويصفون عدم الاحترام من قبل الأولاد للأب

رسم: يوبال أبراهام

والأم في العائلة اليهودية، وينتقد العرب بصورة ساخرة وذكية الصرامة المبالغ فيها والعنف الكامن في الحفاظ على شرف العائلة كما هو الحال في العائلة العربية. يهزأ اليهود بصورة فكاهية من روح المصالحة المائعة كما تتمثل في المداولات السياسية، واستعدادهم للانسحاب من الأراضي التي تم احتلالها من خلال إراقة الكثير من الدماء، فيما يهزأ العرب من المطالب بالحصول على "الكل أو لا شيء"، و "كل ذرة رمل" وهو الذي يعتبر من مقومات سياستهم الدائمة. يهزأ اليهود في المقابل من الأقلية اليهودية التي تنسب الصفات والخصائص المقدسة لأرض إسرائيل وحجارتها، فيما يهزأ العرب من نفس الأيديولوجية تقريبا، والمألوفة لدى معظم شرائح المجتمع العربي، التي تنظر بقدسية إلى أراض تعد مناطق ضئيلة قياسا بالأراضي المترامية الأطراف التي تملكها الأمة العربية. ويستطيع اليهود تمثيل مشاهد ساخرة حول اليهودي الذي يريد أن يكون مثل الأمريكي، ويستطيع العرب تمثيل مشاهد ساخرة حول العربي الذي يريد أن يكون مثل اليهودي الذي يريد أن يكون مثل الأمريكي.

يستطيع اليهود أن يضحكوا من أنفسهم أيضا في موضوع اللهجة المرموقة في الحديث عن أهمية المساواة الكاملة للعرب من جهة، والأعمال المجحفة بحق السكان العرب في البلاد من جهة أخرى. ويستطيع العرب، والمقصود بطبيعة الحال بادئ ذي بدء عرب إسرائيل، استغلال المنبر الساخر للاستهزاء من التذمر لدى العرب فيما يتعلق بالإجحاف، فيما لا يؤدون خدمة الدولة خلال ثلاث سنوات، علاوة على شهر من الخدمة الاحتياطية كل سنة على غرار حال اليهود، ومن هنا فالإجحاف يكون لصالحهم.

لا شك أن مثل هذا البرنامج الساخر، باعتباره برنامجاً ساخراً جيداً، سيثير الكثير من ردود الفعل، التي من المتوقع أن تكون ردود فعل ساخطة. ومما لا ريب فيه انه سيكون هناك من العرب من يحتج على الطريقة الفظة في إظهار صورة العرب، وسيكون هناك أيضا من اليهود الذين يحتجون على الطريقة الجارحة في تصوير العرب. والأقل توقعا، ويسرني حدوث مثل هذا الأمر، أن تكون هناك أصوات عربية ساخطة على الطريقة الجارحة في تصوير اليهود عبر هذا البرنامج الساخر الفاضح.

سيكون مثيرا للفرح، إلا انه كما يبدو لن يكون له أي وجود قطعاً وعلى أي حال سجلوا أمامكم فكرة لبرنامج ساخر يهودي – عربي.

وبالطبع، من الممكن إفساد مثل هذه الفكرة، وإنتاج البرنامج المذكور بالطريقة الروتينية المتبعة في المشاريع الثقافية اليهودية العربية. أي إنتاج برنامج ساخر يقوم فيه اليهود بانتقاد عدم العدل الذي ينتهجه اليهود إزاء العرب ويكون العرب أحرارا في كيل الانتقاد كما يحلو لهم لليهود بسبب طريقة تعاملهم مع العرب. لم يكن هذا ما حلمت به في ذلك الحين، خلال البرهة الوجيزة التي منحت لي بالحلم بإنتاج برنامج ساخر بالمشاركة مع بسام زعمط أو مع أي فنان عربي آخر.

الكاتب هو فنان ساخر وكاتب ثابت في صحيفة "معاريف"